اصلاح النسل

تعريفهُ ومجالهُ وغايتهُ

ملخص من خطبة القاها الدكتور فرنسيس غلتون على الجمعية الاجتماعية في لندن

عند الغربيين علم يسمى بعلم اصلاح النسل وهو يبحث في جميع العوامل التي من شأنها ان تحسن غرائز النسل وترقي مزاياهُ الفطرية بصرف النظر عن المزايا الادبية . ومقتضيات هذا العلم سهلة التعريف والتعيين فان الكلّ متفقون على ان الصحيح يفضل المريض والقوي يفضل الضعيف والملائم للبقاء يفضل غير الملائم لهُ . وبعبارة اخرى ان كلّ حيّ يفضل ان يكون زبدة نوعهِ على ان يكون ثفلهُ مهما يكن ذلك النوع . فغرض هذا العلم ان يستخلص من كل نوع زبدتهُ وينتقي احسنهُ ليصح اتخاذ ذلك الاحسن مثالاً لهُ وليحمّل فوق ما فرض عليهِ في رفع شأن النسل الذي يعقبهُ ولذلك خمس طرق

(١) ان يهتم اولو الشان بنشر النواميس الثابتة المختصة بالوراثة والتعمق في درسها فان قليلين يعلمون ما بلغهُ علم الوراثة من التقدم في السنين الاخيرة حتى صارت الاحصاءات المتعلقة بهِ لا تقل عن احصاءات المواليد والوفيات دقة وضبطاً

(٢) ان يبحثوا بحثاً تاريخياً في قيمة الخدمة التي خدمت بها طبقات الهيئة الاجتماعية اوطانها قديماً وحديثاً . فان هناك ما يحمل على الاعتقاد ان قيام الامم وانحطاطها لهما علاقة شديدة بهذا الامر

(٣) ان يبحثوا بحثاً مطرداً في الاحوال التي تشأت العائلات الكبيرة فيها وأثرت . وليس من الصعب على الذين يهمهم هذا العلم ان يجمعوا من حقائقهِ ما يفيد رجال الاحصاء والامر الذي يجب تحقيقهُ هو حالة الوالدين عند زواجهم . ويجب ان تبين الاسباب في اثراء الاولاد

(٤) ان يبحثوا في العوامل المؤثرة في الزواج . قال اللورد باكون في كلامهِ على الموت وتحقير قدرهِ في النفوس ما يأتي " ليس في صدور الناس عاطفة مهما صغر شأنها وضعف فعلها الاَّ وتستخف بالموت وتكسر شوكتهُ وتزيل رهبتهُ من النفوس . فالانتقام ينتصر عليهِ والمحبة تحتقرهُ والشرف يتناهُ والحزن يجري اليهِ والخوف يسابق عليهِ " . وما قالهُ اللورد باكون في الموت يصح ان يقال في الزواج . فان عاطفة الحب تتغلب على غيرها من العواطف حتى يظنّ ان من الحمق تحويلها عن مجراها ولكن الحقائق المعروفة لا تؤيد هذا الظن لان للعوامل

الاجتماعية تأثيراً عظيماً وهي متعددة الانواع فلو حرّمت عقود الزواج غير الملائم من الهيئة الاجتماعية او نظر اليها بعين الاشمئزاز التي ينظر بها بعضهم الى الزواج بين الاقارب لقلّ عددها كثيراً

(٥) ان توضح اهمية اصلاح النسل في مصير الامم

ولا بد من النظر في ثلاثة امور قبلما يشيع اتباع مبادىء هذا العلم . وهي اولاً يجب ان يعدّ من المسائل المألوفة حتى تدرك حقيقة اهميته . ثانياً يجب ان يعد موضوعاً يسهل الجري عليه فعلاً . ثالثاً يجب ان ينقش على ذهن الامة كأنهُ دين جديد وهو يستحق ان يصير فرضاً دينياً واجب الاداء في المستقبل لانهُ يعاون الطبيعة على وجوب اختيار الاصلح من طوائف الانسان ليمثّل النوع كلهُ . على ان الطبيعة تتمّ مهمتها من هذا القبيل وهي عمياء بطيئة عديم الشفقة واما الانسان فرائدهُ في ذلك بعد النظر والسرعة والرفق

ويقال بوجه الاختصار ان تحسين النوع من اسمى الغايات التي يرمي الانسان اليها . فاننا نجهل مصير النوع الانساني ولكننا نشعر ان السعي في رفع شأنهِ عمل شريف سام كما ان تخفيض منزلتهِ عمل دنيء حقير . ولست ارى ما يمنع صيرورة هذا العلم واجباً دينياً متحتماً قضاؤهُ . واول ما يجب عملهُ في هذا الصدد ان تبين اهمية هذا العلم للناس ثم تترك مبادئهُ تنغرس في قلوب الامم وتنطبع على صفحات اذهانهم فيفضي ذلك شيئاً فشيئاً الى ظهور النتائج الفعلية من تلك المبادىء الخيالية بطرق لا نستطيع الاحاطة بها الآن

هذه خلاصة ما قالهُ العلامة الدكتور فرنسيس غلتون الذي يعدُّ واضعاً لهذا العلم لانهُ اول من بحث فيهِ بحثاً مستفيضاً مبنيّاً على الاستقراء . ولما تمّ خطبتهُ تعقّبهُ بعض العلماء الباحثين في هذا الموضوع وامثالهِ فقال الدكتور ريد "ان للوراثة الشأن الاول في حالة النسل فهي الاساس لكل فضيلة ورذيلة ولكل صفة ادبية واجتماعية وسيبقى الناس يخبطون خبط عشواء الى ان تعلم نواميس الوراثة حقّ العلم"

وقال بنيامين كد Kidd المشهور يبحثهِ في اسرار الاجتماع ان ما يعدّ انحطاطاً في بعض الشعوب الدنيا انما هو نقص في القواعد الاجتماعية وليس هو انحطاطاً في قواهم العقلية . وود ان يُعلم علم الاجتماع الانساني تماماً قبل ان توضع القواعد لاصلاح النسل كأنهُ لا يُسلّم بان المزايا التي يمتاز بها المتمدنون الآن كلها من الحسنات التي يجب حفظها لاصلاح النسل

وقال المستر جورج برنرد شو ان الناس يعتنون باختيار عملائهم وطبّاخيهم اكثر مما يعتنون باختيار ازواجهم وزوجاتهم فإمّا ان نتركهم وشأنهم او نلقى منهم من النفور والعناد اكثر مما ننتظر

وقال المستر ولس ان كثيرين من المشهورين بارتكاب الجرائم فيهم من الفطنة والذكاء وحسن النظر اكثر مما في القضاة الذين يحكمون عليهم

صوم الحيوان

لايخفى ان القواقع (البزاق) تصوم فصل الصيف كلهُ وجانباً من فصل الربيع والخريف فتسدل حجاباً صفيقاً على فم قوقعتها وتنزوي في جوفها من غير حراك وتبقى كذلك الى ان يقع المطر ويبلّ التراب ويسهل عليها سبيل الاغتذاء فتنزع الحجاب عن بابها وتسعى في طلب الرزق . ويعلم الذين يأكلون البزاق انهم يجدون فيهِ في آخر فصل الشتاء جسماً دهنيًّا غرويًّا يكاد يكون شفافاً يبلغ طولهُ سنتمترين او اكثر وثخنهُ نحو سنتيمتر . واما في اول فصل الشتاء حينما يخرج البزاق من مخبإهِ فيكون هذا الجسم قد ضمر ولم يبقَ منهُ الاَّ شيء دقيق كأنهُ مؤونة عاش الحيوان عليها وهو صائم فكفتهُ للتنفس البطيء الذي كان يتنفسهُ فنفد اكثرهُ

واكثر الحيوانات التي تشتو تصوم في فصل الشتاء لكنها تذخر في اجسامها من الغذاء ما يكفي لقيام حياتها فكأنها النمل يجمع في قراهُ الطعام الذي يكفيهِ فصل الشتاء . ولاغرابة في ذلك لان هذه الحيوانات تقلُّ حركتها في الشتاء او تنقطع عن الحركة تماماً فلا يبقى منها الاَّ التنفس البطيء وهذا يكفيهِ قليل من الغذاء او من المواد الدهنيَّة التي تحترق رويداً رويداً لئلا ينطفئ سراج الحياة فيسهل عليها الصوم لقلة حركتها

لكن من الحيوانات ما يصوم في الزمن الذي يحتاج فيهِ الى الحركة الكثيرة والجهاد العنيف وهو الحيوانات المعروفة باسود البحر وادبابهُ والسمك المعرف بالسامون

اما اسود البحر وادبابهُ وهما نوعان من الفقمة فان اناثها تصعد على الجزائر التي تلد فيها وتبقى هناك عشرة ايام الى اثني عشر يوماً منقطعة عن الطعام لانها لا تجد هناك طعاماً تأكلهُ . والذكور الكبار تصعد الى الجزائر في اوائل شهر مايو وتبقى هناك الى اواخر شهر يوليو ثلاثة اشهر تقضيها صائمة من غير طعام وتكون في اول الامر سمينة كثيرة الدهن فتنحف وتدقُّ رويداً رويداً الى ان ينقضي فصل المزاوجة ولكن قوتها لا تفارقها فتبقى تتحارب وتتصارع على الاناث الى ان ينتهي فصل المزاوجة وتنزل الى الشاطىء وحينئذٍ يظهر عليها الضعف والسكينة ويصير صيدها سهلاً كأنها تكون قد قضت غرضها من الحياة ولم يعد لها مأرب فيها